المنهاج في المعراج

المغربي

297.317:M19A

المغربي ، عبد المجيد .

المنهاج في المعرفة .

FEB 15

29. 7. 81

S286

78-19 oc

861022

297.317
M19A

J. LIB.

SAFET LIB.

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

297.317
M19mA

المنهاج في المعراج

بقلم

محمد المجيد المغربي من طرابلس الشام

38926

طبع في مطبعة الحضارة بطرابلس الشام سنة ١٣٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على عظيم نعمائه بعظيم انبيائه عليه وعليهم الصلاة والسلام الى يوم لقائه و بعد فهذه وجيزة حررتها جوابا على اسئلة في حادثة المعراج المحمدى سألنى عنها نبيل من نجباء شيبتنا النشيطة وبالله التوفيق

قال : هل العروج المحمدى الى السماء كان بالروح والجسد ام بالروح فقط وهل كان يقظة ام مناما واذا قلنا يقظة بالروح والجسد فما هي الادلة الدينية والعلمية على ذلك وهل يمكن العقل ان يصدق حدوث هذا الامر وباى وجه يمكن اقناع من ليس بمسلم بذلك بل باى وجه نطابق بينه و بين الفن افيدوا

قلنا نجيب عن هذه المسئلة كيف حصلت باساسها وعن حكمها وثبوتها ثم نفيض بالكلام عن تصديق العقل وطريق القناعة والتطبيق على وجه جدير بالقبول فنقول

من جملة معجزات رسول الله وخاتم انبياه سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم حادثة الاسراء والمعراج المتضمنة لجملة معجزات دلت على امتيازه بعظيم المقام ورفيع الدرجة بين اخوانه من الانبياء والمرسلين من عبد الله ورسوله ابى البشر سيدنا آدم الى عبدالله ورسوله سيدنا عيسى عليهما السلام فقد اسرى به ليلا من المسجد الحرام في مكة الى المسجد الاقصى في بيت المقدس على البراق : وهو دابة كان يركبها الانبياء عليهم السلام كما اثبتته المأثورات ولعل تسميتها بذلك لمشابهتها للبرق في سرعة المضى كما سميت اليوم التحريرات التلغرافية بالبرقيات وقد ورد انه يضع حافره عند منتهى طرفه : ثم عرج به صلى الله عليه وسلم الى السماوات العلى فالى حيث شاء الله سبحانه وتعالى ومما تلقاه هناك الامر بفريضة الصلوات الخمس ثم عاد صلى الله عليه وسلم في ليلته تلك الى مكة واصبح بين قومه يحدثهم بما حصل اما الاسراء فثابت بالكتاب والسنة والاجماع وهو من المعتقدات التي يكفر منكرها وقد جاء في النص القرآنى قوله تعالى (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصي الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير)

واما المعراج فبالاحاديث المستفيضة بين العلماء ورواة الحديث والمأثور استفاضة كافية في تحقيق وقوع ذلك كما ان النص القرآني

يومئ اليه لانه اخبر بمسراه ليلا بين المسجدين واخبر ان ذلك كان ليريه من آياته ومعلوم ان الارض قد رأى الناس مافيها من الآيات فعلم ان ذلك ليريه ايات لم يرها عموم الناس كما قال في آية اخرى (افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة مايغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من ايات ربه الكبرى) فقوله ما زاغ البصر دليل على ان ما رآه كان بالعين الباصرة فدل ذلك على صعوده الى حيث سدرة المنتهى ولا شك ان المماراة في قوله: افتمارونه: انما تكون فيما يحصل يقظة والا فلا مماراة في الاحلام المنامية وايضاً قوله تعالى (سبحان الذى اسرى بعبده) يدل على ذلك لان العبد اسم لمجموع الجسد والروح وايضاً قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عباس وعائشة لما كانت ليلة اسرى بي الى السماء اصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت ان الناس يكذبوني فروى انه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شئ قال نعم اسرى بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ابو جهل ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم فلم ير ابو جهل ان ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث ولكن قال اتحدث

قومك بما حدثتني به قال نعم قال ابوجهل يامعشر بني كعب ابن لؤى هلموا فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم اسرى بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا وارتد اناس ممن كان قد آمن به وصدق وسعى رجل من المشركين الى ابي بكر فقال له هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال ذلك قال نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء في ليلة قبل ان يصبح قال نعم اني اصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوة اوروحة وكان في القوم من اقى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع ان نعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت انعت الخ فهذا وامثاله بمجموعه يأبى الا ان يكون ذلك يقظة فالحق ان الاسراء والمعراج حصلا يقظة بالجسد والروح وعليه دلت الاحاديث الكثيرة وعليه اجمع اهل القرن الثاني ومن بعده من الامة خلافا لبعض القرن الاول ولا ينكر ان من الاحاديث في هذا الباب ما دل على العروج منامًا لكنها قد أولت لترجيح ما سواها عليها على انه قال بعضهم

بحصول معاريج منها منامية ومنها ما حصل ليلة الاسراء من الاسراء والمعراج يقظة بالروح والجسد معاً في ليلة واحدة وعليه اهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين وعلى كل فمسئلة المعراج ليست من المعتقدات الاسلامية الاساسية المستندة الى البراهين القطعية وانما هي ثابتة بطريق الآحاد فمنكرها يفسق ولا يكفر بخلاف الاسراء كما علمت سابقا

هذا خلاصة قول علمائنا رحمهم الله تعالى في هذا الباب واما مسألة تصديق العقل وخلافها فتحتاج الى تمهيدات علمية لا بد من بيانها لان غلط الكثيرين في هذه المسألة وامثالها ناشئ من عدم التدقيق ومعرفة الفرق بين الممكن العقلي والممكن العادي والمستحيل العقلي والمستحيل العادي لانه كلما كان الشيء مستحيلا عقلا كان مستحيلا عادة وليس كل مستحيل عادة مستحيلا عقلا وههنا مزلقة الكثيرين الى الغلط ورفض كثير من الخوارق التي تظهر على ايدي رسل الله عليهم السلام كما ان تحكيم الفن في كل شيء يراد اعتقاده من الاخطاء البينة لان الفن انما هو للبحث فيما ظفر به من الموجودات الحسية واستكشاف مالها من النواميس الطبيعية لا انه الحاكم المطلق على معنى ان ما وافقه قبله وما لا الزمنا برفضه الا ترى انهم قبلوا ما قاله هرشيل

الفلكي الشهير من ان الشمس كوكب مضيء مسكون بسكان يستضيئون بقمام ملتهب مع ان مركز الارض بل ما يليه من الطبقات والاراضي الاولى والثانية كما هو مفصل في علم طبقات الارض غير قابل لوجود مواد حياتية عضوية فيه كما اطبق عليه عامة الجيولوجيين وذاك المركز باق على حالته النارية منذ انفرزت الارض من الشمس على رأيهم لكن من الجائز ان تكون سكان الشمس على غير هذه النواميس المعروفة بان يكونوا ناريين يتحملون درجة تلك الحرارة العظيمة بل لا يعيشون بدونها وتكون عضوياتهم لا تشبه شرائط عضويانا كما ذكره غير واحد كما اوضحناه في كتابنا البرهان في العقائد فحينئذ لا يكونون خاضعين لما نعرف من هذه النواميس الطبيعية فمالنا ان نعتبر الفن هو الحاكم المطلق في كل ما نريد ان نعلمه وليس للفن ان يوصد الابواب بوجه العقل ولا ريب ان المنطقة العقلية اوسع بكثير من المنطقة الفنية وان للعقل سلطانا قاهراً على الفن يوقفه عند حده ومن الاسس العظيمة لكل بناية يراد ان تشاد في الاعتقاديات معرفة الحكم العقلي من العادي وتمييز احدهما عن الآخر والا فهناك الخلط والخبط والتدهور الى حفائر الجهل والضلال فاستمع لي غير ضجر ولا سئيم من تطويل الكلام فان المقام من المهام

ان الحكم العقلي ما كان الحاكم به العقل بخلاف الحكم العادي فان الحاكم به العادة نعني التجربة وتكرره على الحس فالحكم بان الحموضة تفسد الحليب وتحصله انما هو حكم عادي اذ العقل يجوز عنده ان لا يحصل ذلك لعدم ترتب محذور عقلي من فساد اوامر محال واما في العادة فيستحيل ان لا يفسد الحليب بالحموضة وحينئذ فقد استحال بالعادة ما جاز عقلا حصوله بالفعل ومثل ذلك الطيران في الهواء والمشي على الماء مثلا بدون وسائط صناعية فان ما علمناه بالتجربة والعادة وتكرر على حسنا من ان جاذبية الارض والثقل في الجسم ناموس طبيعي يمنع حدوث ذلك فهذا الحكم انما أتانا من طريق العادة والتجربة اي ان تكرر ذلك على حسنا مطردا جعلنا نحكم هذا الحكم ونضع هذه المسئلة في مباحث الفن لكن العقل اذا راجعناه نجده لا يمنع ذلك حيث لا يلزم عليه شيء من المحالات العقلية كما يتضح من هذه التقسيمات التالية وذلك ان الحكم العقلي ثلاثة انواع واجب ومستحيل وجائز اما الواجب العقلي فهو ما امتنع عند العقل عدمه كالحيز للاجرام والمحل للاعراض فان وجودهما لما واجب عقلي يمتنع عدمه والمستحيل العقلي فهو ما امتنع عند العقل وجوده اذ يلزم على تقدير وجوده امر محال او فساد اي خلل في كونه

فلا يتم تكونه فلا يحصل كاجتماع النقيضين كانتفاء الشيء وثبوته في آن واحد وكتداخل الاجسام ووجود جسمين في حيز واحد وتخلو الجسم عن الصورة والحركة والسكون معا وكوجود اثر بلا مؤثر ومصنوع بلا صانع وكوجود آلهين او اكثر للعالم لان الالوهية بذاتها وشأنها الضروري لها مقتضية للاستعلاء والسلطنة والقهر على ما سواها فالالهان كل منهما يطلب بذاته وضرورة الوهيته الاستعلاء على الآخر ولا جائز ان ينفذ طلبهما معا لما يلزم عليه ان يكون كل منهما غالبا ومغلوبا وقاهرا ومقهورا في آن واحد ومن وجه واحد وهو محال لما فيه من اجتماع النقيضين واذا نفذ طلب احدهما فقط اي غلب احدهما وقهر الآخر مستعليا عليه كان الآخر مقهورا عاجزا عن مدافعة ما يضاد الوهيته فيكون غير اله فانظر كيف ترتب المحال في المستحيل العقلي ومثله ان يكون الله تعالى وتقدس جرما اذ يترتب على تقدير انه جرم امر محال اذ يلزم ان يكون قديما لالوهيته وحادثا لجرميته فاجتمع النقيضان القدم والحدوث وذلك محال فمثل هذا هو المستحيل عقلا الممتنع الوجود البتة لا ان كل ما لم تجر العادة به يحكم انه مستحيل بالعقل مطلقا فهاهوذا الطيران في الجو كم ذا حكم القدماء

باستحالته عقلا وان العقل لا يمكن ان يصدق بوقوعه ولو ان علما دينياً قال لهم بامكان حصوله بوسائط فنية او بمجرد قدرة الله تعالى لعدم استلزامه امرا محالا عقلا لارغوا واز بدوا وخرفوه وخبلوه ولو طالت بهم حياة ورأوه باعينهم لحدت تلك الفورة من حدتهم فقد حصل ما استحالوه وان كان بوسائط اذ القصد اساسيا امكان حصوله بوسائط او بدونها بمجرد قدرة الله تعالى لافرق ولو لم يكن ممكنا لما حصل ولو اخبرهم مخبر بان احدنا يسمع صوت الاخر على بعد كذا كيلو متراً بالهاتف (التلفون) لاوسعوه تكذيبا وتخريفا لكن العلم ابرز ذلك الوجود وبالاحرى ان تبرز القدرة الالهية المستغنية عن الوسائط ما ليس بحسبان الفن وما عرفناه من نظرياته فقد ابصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر في المدينة العدو يريد ان يأخذ على حين غرة من جهة الجبل سارية وجيشه من المسلمين وهم في نهاوند من العراق العجمي فناداه عمر ياسارية الجبل الجبل واسمعه صراخه وسمع سارية صوته ونجا بمن معه من كيد العدو فاذا كان الفن استطاع بالاسبكتر سكوب ان يرينا الغرقي في الابعاد السحيقة الشاحطة من الكواكب المتنائية السابحة في بحر الاثير كما استطاع ان يسمع صوتك بالتلفون البعيد والابعد عنك بايام فمن السهل

والايسر لعظمة القدرة الالهية التي من مصنوعاتها الفن ومخترعاته ان تكبر بصر عمر او لاتكبره وتمدد تموجات الهواء بصوته اولا تمددها ان تسمع سارية صوته و يبصره عمر على هذا البعد الشاسع بينهما ثما جاز ذلك وقوعه بالوسائط يجوز للقدرة الالهية بلا وسائط على ان كل الحوادث الكونية بتأثيرات القدرة الالهية على رغم كل انف واما الجائز العقلي سواء منعت العادة وجوده اولا فهو مالا يمتنع عند العقل وجوده ولا عدمه فهما مستويان عنده اي لايترتب فساد او محال عقلا على تقدير وجوده او عدمه وهذا هو الممكن العقلي وكذلك الحكم العادي ينقسم الى واجب ومستحيل وجائزاما الواجب العادي فهو ما امتنع عدمه عادة لا عقلا كالحرق للنار وتفرق الاجزاء بالحرارة وتجمعها وتصلبها بالبرودة والضرر الذي يحصل بالهيدروجين والتسمم بالكلورو والسوديوم المتركب منهما ملح الطعام وامثال ذلك ففي العادة يمتنع ان لا تحصل هذه الاثار المذكورة بتلك المواد فمن المستحيل عادة ان لاتحرق النار وان تجمع الحرارة او تفرق البرودة اجزاء المادة وان المرء لا يتسمم بالهيدروجين والازوت مع فقدان الاوكسجين و بالكلورو والسوديوم ذانك الغازان المسمان كل على انفراده لكن العقل لا يمتنع عنده شئ من ذلك

حيث لا محذور بالعقل واما المستحيل العادي فهو ما يمتنع وجوده وحصوله عادة لا عقلا كصعود الانسان الى ما فوق الهواء وكتكلم الطفل في المهد واحياء الموتى فان التجربة المبنى عليها الفن التي هي عبارة عن تكرر عدم وقوع امثال ذلك منعت وجود ذلك وجعلتنا نعتبره مستحيلا بخلاف العقل فانه يقول لك لا مانع عندي من امر محال او فساد يمنع من حصول ذلك وان لم يقم وان يقع الا بقدرة صانع العالم وموجده على هذا النظام واما الجائز العادي فهو مالا يمتنع بالعادة وجوده ولا عدمه ككونك تقوم من مكانك وتقعد وحينئذ فكل جائز عادة جائز عقلا والمستحيل عادة قد يكون مستحيلا ايضاً عقلا وقد يكون جائزا بذاته عقلا واما الممكن العقلي فقد يكون مستحيل الحصول في العادة كالمشي على الماء وقد يكون جائزاً عادة كافعالنا الاختيارية الصادرة منا توضيحه :

ان هذه الكائنات من علوية وسفلية مرتبطة بقوانين ونواميس ولها وفيها خواص مقصورة عليها لايمكن للبشر مغايرتها استقلالا ولا بد ان مواد الكائنات تستمر على نواميسها الى انتهاء العالم بيد انه كما تقرر في الفلسفة الاولى ان قوانين الطبيعة ثابتة غير متحولة ولا تتغير فالقمح ينبت من حبة والغنم يولد غنماً والفرس فرساً والماء

يكون في غليان متى بلغت الحرارة درجة المائة تقرر ايضا ان تلك القوانين ممكنة غير ضرورية بذاتها لان ما افاد قوانين الطبيعة هو قضايا تركيبية وجدت بالتجربة والتركيبي والتجربي لا يكون ضروريا قطعاً فالمواد بنواميسها كان من الجائز ان توجد في الابتداء على غير ما وجدت عليه فالارتباط بين المواد ونواميسها من الممكنات لا الواجبات العقلية لكن الصانع تعالى جعلها مستمرة الجريان على هذا الشكل فما من احد باستطاعته خرق ذلك الناموس

متى قلنا ان هذا امر عادي كان معناه ان العقل يجوز خلافه لكن في الوجود الخارجي ما وجد الا كذلك لا انه لا يجوز ان يوجد الا كذلك ولسنا نذهب ان المغايرة والمخالفة للعادة جائزة مطلقا فاننا نلتزمها بنواميسها المقررة جداً ونبنى على قوانينها الملتزمة اصولا عظيمة كالمعجزات النبوية حتى يرتقى في خرقها عن القدر البشرية الى الاقتدار بقدرة فوقها يجب ان يكون صاحبها هو الذي وضع قانون العادة ونظم ناموس الطبيعة على وجه لا يستطيع تحويله عما هو عليه احد من البشر حتى كان لقدرته الصلاحية التامة ان تخرق هذا النظام لان الصانع قدير عقلا على التبديل والتغيير في مصنوعه متى اراد حتى صلح هذا الخرق برهانا قاصعا على تصديق من حصلت على يديه المعجزة في دعواه

لان هذا الخرق يستند عندئذ الي القوة العظيمة الآلهية لا الى قوته لانه بنفسه بشر لا يستطيع مالا يستطيعه البشر والخلاصة اننا بحسنا وجدنا هذه الكائنات مرتبطة بقوانين ونواميس مستمرة لاتتعداها و بعقلنا علمنا ان هذا الارتباط امر ممكن جائز الا نفكاك والمغايرة عقلا فكان متعينا عادة ولذا كان خرقه مستحيلا عادة غير متعين عقلا ولذا جاز خرقه بقدرة موجده لان القدرة البشرية اذا كانت محكومة بذاك الناموس فالقدرة الآلهية لا يجوز عقلا ان تكون محكومة به اصلا والا لزم العجز للالوهية وانه باطل

من ثم كانت المعجزة فوق قدرة البشر لتحقيق معنى الاعجاز وتحت تصرف القدرة الآلهية لتحصل وتقع ليتم الاستدلال بها على النبوات فالقصد في المعجزات خرق النواميس الممكنة المستعصية على مقدرة البشر المقهورة بقدرة صانع العالم وموجده بنواميسه لاننا نطالب مدعي النبوة بما لا يقدر عليه الا من ارسله وهو الله تعالى لنتيقن صدق دعواه بانه رسول الله الينا وهذا انما يحصل بطريق خرق النواميس فحينئذ كيف ننكر على الرسول ان يأتينا بما يخالف الناموس ؟

ان الله تعالى يجب ان تكون له قدرة تامة بها يوجد و يعدم فهي انما تتعلق بما يقبل الوجود والعدم بذاته وما امتنع وجوده

وهو المستحيل العقلي لا تتعلق به القدرة فلا يمكن قطعياً ان تُعارَض المعجزة بما استحال عقلا بخلاف مثل الحديد فرضاً فانه بمقتضى ناموسه صلب لا يتلين الا بواسطة النار فهو ممتنع التلين بدونها عادة واما من حيث العقل فيجوز ذلك اذ لا يترتب عليه امر محال فتليينه بدون هذه الواسطة من الممكنات العقلية المرتفعة عن قدرة البشر الخاضعة للقدرة الالهية فلا جرم ان كان تليينه بدون النار من المعجزات كما وقع لسيدنا داود عليه السلام يصطنع منه الزرد والدروع يقلبه كالطين بيديه كيف شاء بدون واسطة حسية من نار ومطرقة بل بامداد من الله عز وجل الذي اقدره على ذلك ليكون دليلا على انه رسول الله الى قومه

اذا فقدت اسباب العلم بالشيء من الانسان امتنع عليه العلم به قطعاً لكن ذلك من الامور العادية يجوز خرقه فلا جرم ان كان سيدنا عيسى عليه السلام يحدث قومه بما يدخرون وما يأكلون ويتحدثون به في بيوتهم ليكون ذلك من جملة معجزاته الدالة على انه عليه السلام رسول الله بل ان وجوده اساسياً على الوجه الذى برز فيه من الخوارق الالهية الجليلة أتلد من ام بلا اب وبدون لقاح وماء يتكون به فقد شابه اباه سيدنا آدم عليه السلام حيث كان بلا اب وخالفه بان له اما فوجود آدم بلا ابوين وان

كان اعجب في الباب لكن وجود عيسى عليه السلام على هذا الوجه بعد ان استقر ناموس التوالد بعد ابيه آدم كان من ابهر الخوارق التي تاه في بيدائها من تاه ، يجوز للقدرة الالهية العظيمة ان تلحق احد مواليد الطبيعة الثلاثة باحد الاقسام الاخر فتحدث مثلا في النبات المشارك للحيوان في الجسمية النامية المتنفسة روحا حيوانية يكتسب بها مزايا الحيوان وما يقتضيه من المواد الفسيولوجية خرقا للعادة ومن ذلك عصا سيدنا موسى عليه السلام وانقلابها حية تسعى وقد ذكروا في الطبيعيات انه يجوز انقلاب جسم الى جسم آخر اي اكتساب مادة خاصة مادة اخرى بتأثيرات تبدل حركات الذرات الجسمية وهي الدورية والاهتزازية والانتقالية التي تتبدل بتأثيرات القوى الطبيعية الواقعة على الاجسام وحينئذ فليس من الصعب ان يقبل جواز اكتساب عصا موسى عليه السلام وهي ذات نفس نامية نباتية حياتية خاصة المادة الحيوانية وعدم تظائر ذلك في المحسوسات وعدم الألفة لامثاله لا ينبغي ان يصدنا عن قبوله

ان العاقل من حيث هو عاقل يجب ان يستند في كل شيء يتكلف اعتقاده على الدليل عقلياً كان او حسياً ووجود كل شيء فرع امكان وجوده عقلياً فالنقطة الاساسية هي الامكان العقلي في كل

شيء فاول ما ينظر في الشيء ينظر هل هو ممكن الحصول عقلا ام لا بعد ان نكون قد درسنا الامكان العقلي والمستحيل العادي حتى لا نغلط في الحكم كما يقع كثيراً لدرسة الطبيعيات من اساتيذ وتلاميذ فاذا ثبت امكان حصوله نظر هل من دليل قام على حصوله ووجوده بالفعل ام لا وما درجة هذا الدليل من القطع والظن وهذا الشيء هل يكفي في قبوله الظن ام لا بد فيه من القطع لنبني علمنا بالشيء على اصول واساسات تقوي على تحمل ما ما يبنى عليها والا تصدعت البناية وتهدمت لا اننا ننظر في انه هل هو مطابق للنواميس الطبيعية التي تعرفها فنقبله اولا فنرفضه ولو كان ممكنا عقليا في ذاته فان هذا خطاء كبير في العلم وظلم فاحش للعقل لاننا نكون قد سلبناه كثيراً من حقوقه وحصرناه في منطقة الحسيات التي هو اوسع منها بكثير وهذه هي الخطيئة الكبيرة الاثم التي اجترحها الذين لم يعطوا الممكنات العقلية حقها من الماديين والحسيين ومن درج في مواريجهم وانتفخت ادمغتهم بروح الفكر المادي حتى حاربوا كثيراً من الحقائق التي بها سعادة الانسان الحقيقية وحاربونا معشر انصار الدين يا ويلهم معها بنظرياتهم غير المنطقية

فالمنازع اذا كان ماديا طبيعياً ينكر وجود الله ويعتبر ان تلك النواميس عقلية واجبة الاستمرار على ما هي عليه عقلا لا عادة فالسبيل تصحيح اعتقاده وارجاعه الى خطوط الدينين بابطال قدم المادة وحركة ذراتها الاثيرية واثبات وجود الله تعالى وان العالم باعيانه واعراضه من مصنوعاته عز وجل وتفهيمه معنى العادي والعقلي والمستحيل والممكن فيهما وان الله جعل قسماً من الممكنات يتبدل ويتغير نعني انه معرض دائما للتبدل والتغير وقسما مستمراً على قانون ونظام الى فناء العالم لكنه قابل التغيير بذاته بقدرة الله تعالى فحسب المطلقة التصرف والمنزهة عن ان تتقيد بناموس هو من وضعها واثارها والا لزم العجز على الله عز وجل وانه باطل وان تلك النواميس واستمرارها على ما هي عليه من الممكنات القابلة التبدل والتغير عقلا بقدرة الله تعالى لا بقدرتنا فيخجر وينساق الى الاعتراف بجواز هذه الخارقات

اذ النواميس الطبيعية حادثة بقدرة الله تعالى وكل ما كان كذلك فهو من الممكنات عقلا وكل ما كان كذلك يجوز خرقه بقدرة الله تعالى وان امتنع بالعادة على قدرة البشر فينتج ان النواميس الطبيعية يجوز خرقها بقدرة الله تعالى وليست المعجزة الا امراً خارقا للنواميس والقوانين الطبيعية على يد الرسول حال

كونه ممتنع الحصول بقدرة البشر فهي بطبيعتها وحقيقتها وهويتها يلزم ان تكون مخالفة للناموس الطبيعي فلا يقال حينئذ كيف تقبل وهي مخالفة للعلم وخارقة للنواميس الطبيعية طالما ان هذا الخرق هو المقصود الاساسي لتأييد دعوى النبوة والرسالة من عند الله تعالى ولو لم تكن خارقة لما صلحت برهانا للرسول على صدق دعواه واذا كان المنازع مليا ينتمي الى دين سماوي فهذا بالطبع يكون معترفا بالخوارق والمعجزات التي تحدث بقدرة الله تعالى والا كان جاهلا ضعيف الدماغ نرده الى التعليم البدائي ليتربى بالنشوء والترقي التربية الدينية الصحيحة ولا معنى للمعجزة الا حصول ما هو مستحيل عادة ممكن عقلا والمسلمون والنصارى واليهود متفقون على هذا بل على جواز حصوله ووقوعه كرامة لبعض الاصفياء من اتباع الرسل كما وقع لحواري سيدنا عيسى عليه السلام ولاصحاب سيدنا محمد عليه السلام وكثير من اتباعه من غيرهم الى يومنا هذا وحينئذ فليس يبدع ان يحدث المعراج يقظة بالجسد والروح الى السماوات معجزة باهرة ظهرت لخاتم الانبياء رسول الله الى كافة العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم الدين وله شواهد فقد عرج بادريس وعيسى عليهما الصلاة والسلام الى السماء واذا صح هذا فليصح ذاك

اذا قلت لارتفاع الهواء في الجو حدبه تنتهي طبقاته فلا يمكن ان يتجاوزه الانسان لانه يفقد النسيم التنفسي فيموت بل اذا اجتاز في تصاعده في الهواء ارتفاع سبعة آلاف متر أحس ببرد شديد وعسر تنفس وازدادت سرعة نبضه وخرج الدم من فمه وانفه واذنه فيموت فانى يمكن المعراج الى السماوات عَلَى تسليم وجودها كما تقولون ؟

قلت ما اسرع ما تنسى يا هذا انا آتيك بالخارقة ومعناها مخالفة النواميس الطبيعية وما تعرفه من الفن وانت تراشقني بالفن اذا كان اصل معراجه وارتفاعه في الجو بدون واسطة من الوسائط البشرية المخالف ذلك لناموس الجاذبية فجسم الكثيف امراً خارقاً للعادة افلا يكون عدم تأثير تلك الفواعل الجوية من برد وقوة ضغط من الهواء وكثرة أزوت وقلة اوكسجين عَلَى جسمه وحفظ النظام الفسيولوجي والميخانيكي في جسمه وغير ذلك من جملة الخارقات، فتكون خارقة المعراج مشتملة عَلَى جملة خارقات لذلك اراني مضطراً لان اعود بك لاول الكلام ولا ابالي اذا اسأمك التطويل طالما في الاعادة افاده فاقول

ان الله خلق هذا الكون وقيده بروابط ونواميس وقيود لا يتعداها كالبصر مثلا فانه مقيد في هذا العالم المحسوس بامور منها اللون

والضوء وجهة الامام وقرب المسافة وعدم الحاجز الكثيف وعدم غاية الصغر في المرئي ووجود العين الباصرة وسلامة الحدقة من الخلل في نظامها المخصوص فما لم تجتمع هذه الامور لا يحصل الابصار ولذا لا نرى الهواء والاشباح المتنائية والميكروبات وكالسمع فلا بد لحصوله من صوت وهواء ينعكس بمصادمته لدرقة الاذن كزاوية الى الطبلة فالى القوقعة التي هي وراء اعصاب الاذن وفيها سائل داخله حبوب صفراء تبلغ نحو ثلاثة آلاف كل منها متصل بعصب دقيق اختص بسمع نوع من الاصوات كما اثبته الطب الجديد فبدون ما ذكر لا يحصل سمع وهكذا بقية الموجودات الكونية المرتبة على نظاماتها فالقيود المسماة بالنواميس والنظام والشروط والاسباب وما شئت من الاسماء المرتبط بها هذا الكون المحسوس انما يتقيد بها المخلوق المصنوع لا الخالق الصانع فعندما يريد الله تعالى ابراز امر معجز للبشر لتأييد وتثبيت دعوى رسوله الذي ارسله بدينه وشرعه الى الناس يوجد الشيء بدون هذه القيود وهذا من جملة الفروق بين فعل الصانع وفعل المصنوع لان من اوجد الشيء مرتبطا بقيود هو قدير على ان يفكها عنه ويطلقه منها كما حصل لسيدنا موسى عليه السلام في سماعه لكلام الله تعالى الذي ليس بحرف ولا صوت فقد احدث الله حين كلمه سمعاً

غير مرتبط بتلك الوسائط والقيود به استطاع سماع كلامه تعالى القديم الذي ليس بحرف ولا صوت وكما حصل لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج فقد رأى ربه بعيني بصره وسمع كلامه حين كلمه وقتئذ كما صرحت به الصحاح بدون تلك الوسائط والقيود المستلزمة للحدوث المستحيل في حقه تعالى التي يمكن ان يفسر بها الحجاب في قولهم اذا رفع عنا الحجاب يمكن ان نرى ربنا تعالى وان نسمع كلامه القديم وهذا معنى قولهم اننا سنراه تعالى يوم القيامة وفي الجنة بلا كيف وبهذا ظهر جهل من قالوا عنا اننا تسترنا بالبلكفة كل ذلك من الممكنات العقلية التي يسهل فهمها جدا لمن يفقه ما هو الامكان العقلي وعظمة القدرة الالهية وما المصيبة التي تضيق الخلق الا بمن يدرس الطبيعيات ولا يدرس الاصول الدينية ولا يعرف شيئاً من الفلسفة الدينية ولا من اصول الاستدلالات المنطقية فيعتقد ان وجوب النواميس عقلي ويستحيل عنده مخالفة النظريات الفنية بدون تمييز بين المستحيل العادي والمستحيل العقلي والانكى بالمصيبة ان الزمان استدار مع امثال هؤلاء الذي اصبحوا الاكثرية الساحقة في الفئة القليلة المشار اليها بما ورد في القرآن المجيد ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ، لا يشكرون ، لا يعقلون وهذا

من معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام باخباراته الغيبية من ان العلم يقبض بقبض العلماء حتى اذا ماتوا اتخذ الناس رؤساء جهالا فاستفتوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا ومن انه في آخر الزمان يقل العلم ويكثر الجهل ولا ريب ان المراد العلم بالدين لانه هو مابه سعادة الانسان الحقيقية فاذا كنت معترفاً بالله وقدرته المطلقة التصرف غير المحكومة بنظام النواميس الطبيعية وانه هو واضع هذه النواميس والطبائع في مواد المواليد الثلاثة للطبيعية وان هذه النواميس من الممكنات لا الواجبات عقلا وانها موجودة بالامكان الخاص بذاتها اذا كنت تفهم الامكان الخاص وان موضوع البحث نبوة ورسالة وقدرة الهية وخوارق ومعجزات تحصل بقدرة الله على يد رسول الله فلا معنى حينئذ لاشكالاتك الفنية يا هداك الله على تلك الخوارق والا فلنرجع بك الى الاساس في مبحث الالهيات من علم العقائد ونطلعك على ما هنالك من البراهين القاطعة والحجج الدامغة التي تعتصم بها عن مزالق البوار ومراسب الضلال و بعد ذلك نكتفي مؤنة نغماتك الفنية التي يشوش طنينها في آذان خريجي المدارس العصرية امور دينهم عليهم

و بعد فاطلب منك يا هذا ان لا تضن علي من معروفك باستماع هذه النبذة التالية من كتابي الكبير المسمى البرهان في

العقائد الرحيب الصدر المفتح الابواب للاستشكالات الفنية وبها خاتمة الكلام في هذه الوجيزة بعد ايراد بحث كالتنبيه في الموضوع

ان الله تعالى ميز نوع الانسان من جنس الحيوان بالعقل الذي هو واسطة المعارف واعطى العقول قوة الفكر وجعل لها حدا تقف عنده من حيث هي مفكرة لا تستطيع اجتيازه والعقل في الانسان كالقابلية والاستعداد الطبيعي في المادة فكما ان الاستعداد غير كاف وحده في حصول ما المادة مستعدة له كالحديد مثلا فان ما فيه من قابلية التليين والتمدد لا يكفي وحده في حصول هذين الاثرين بدون واسطة النار التي من خواصها تفريق الاجزاء وحل روابط التصلب فالعقل ايضاً غير كاف وحده في حصول ما الانسان مستعد له فهو اذاً يجعل الانسان مستعداً للعلم والهدى ولا بد من اسباب خارجية اما مرشد او دلائل وامارات وافية والمرشد اما الهي من كتاب او رسول او بشرى والدئل اما قطعية او ظنية فاعتصامه عن الخطأ والضلالة انما يحصل بالمرشد الالهي والدليل القطعي وهذا هو الطريق الامين الى الحقائق والا كان معرضاً للاخطار وهدفاً للاغلاط فلا جرم ان كان الانسان في اشد الافتقار دائما الى دين الهي يأتي به رسول من عند الله يهديه لمراشد امره

يشهد بذلك تاريخ الانسان منذ هبط الارض وتولد عليها فانه لما انفرد بعقله عن المرشد الالهي والدليل القطعي ند وشرد في مجاهيل الطغيان فعبد الكوكب والعجل المملوث والنار والاحجار واتخذ من البشر آلها وابن آله واعتمد الطبيعة البهماء في المواليد الثلاثة انها هي الفعالة المدبرة لشؤن هذه الكائنات التي هي محار العقول ومدهشة الافكار فالعقل يهتدى بالدين والدين يتعين بالعقل فهما كالعين والبصر لايكون بصر بدون عين ولا تفيد عين بلا بصر

ولا يخفى اننا اليوم مابين دينى اى مشتغل بتحصيل بعض المسائل الدينية وفنى اى مقتصر على تحصيل بعض المسائل الفنية كل منهما يجهل ما يدرسه الآخر والدينيون لم يعطوا الفن حقه كما لم يعط الفنيون الدين حقه وكلا الفريقين مقصر في بابه ولو ان الدينى كان تحصيله الدينى مكملا لم يجاف الفن على الاطلاق والفنى لو كان تحصيله مكملا لم ينبذ الدين

الدين عن الله والله هو موجد الكائنات التي يبحث عنها الفن وهو الاعلم بما خلق فلا يوحي الينا على لسان انبيائه ما يخالف وضعه وصنعه والفني يبحث في هذه المجموعة الكونية فما له ان يتطاول الى ما فوق الفن من اعتقاد التأثير الحقيقى في

شيء من الطبيعيات المصنوعة على وجه الاستقلال عن الله عز وجل

الدين وضع الله والموجودات الطبيعية وضع الله فلا جائز ان يتحارب الوضعان و يرفض احدهما الاخر فلا يمكن قطعياً ان يكون تئاف بين الدين والعلم الصحيح

ما الدين الا مجموعة مسائل واحكام منزلة من عند الله تعالى بها الهداية لما يرضى الله فتكون السعادة الحقيقية وما الفن الا مجموعة القواعد والنظريات الباحثة عن النواميس والحادثات الطبيعية وشؤونها كيف كانت وحصلت والفلسفة تعللها لماذا كانت وحصلت على هذه الكيفية فهما يبحثان في الموجودات المحسوسة من مصنوعات الله فالفن يبحث في احدى المواد من حيث طبيعتها وما اكتنز فيها من الخواص و يحللها بالاصول الكيماوية التي وظيفتها التحليل والتركيب في المركبات فيكتشف على ناموس ارتبطت به شخصية تلك المادة فيضع قاعدة يطبقها على سائر نظائر تلك الماده فمن قال ان المواد الفلانية اذا تركبت يحصل مادة اخرى تخالفها بالشخصية يجوز ان يقبل منه ذلك واذا تجاوز هذا الحد الى اعتقاد التأثير الحقيقي في شيء من ذلك يكون قد تجاوز وظيفة الفن المبني على التجربة التي لا مدخل لها في تعيين المؤثر الحقيقي مما هو وظيفة الادلة العقلية القطعية واذا رأى خارقة لما يعرف من النواميس

الطبيعية التي هي من وضع الله عز وجل فما له ان يجبر على الحلم الديني ويحصر القدرة الالهية في منطقة فنه ويأبى ما اراد الله ايجاده تأييداً للنبوات او يحكم ان ذلك مستحيل عقلا فالفن لشؤون الحادثات واحوالها الحسية والفلسفة والحكمة لاسبابها وعللها الباطنية والدين لمحدثها ومسببها وكل من الفن والحكمة اذا التزم وظيفته يخدم الدين والدين هو قائد البشر الى ما فيه صلاحهم وسعادتهم حالا ومآلا الدين لسعادة الحياتين في الدارين اي في المعاش والمعاد والمعاش يحتاج الى معارف متنوعة بتنوعه ومنها التاريخ الطبيعي في الحيوان والنبات والجماد المتفرع الى جمله فنون كثيرة والمعاد يحتاج الى معارف تحفظ للانسان سلامة مصيره من الشقاء والعقاب ومنها علم العقائد والعبادات والمعاملات والزواجر والاخلاق فما للديني ان يكلح بوجهه وينكر على الفنى شيئاً من اقواله الا اذا تجاوز وظيفة فنه الى ما ليس له بحق واخترق الحدود الدينية وما للفني ان ينكر على الديني شيئا مما جاء في الدين وقصر عنه عقله الفني لان الدين اوسع من الفن لانه يمتد بابحاثه الى ما وراء منطقة الحس التي هي قفص الفن الا اذا رد له بقصور تحصيله الديني فكراً فنيا لا يأباه الدين

لحادثة الاسراء والمعراج الواردة بهما النصوص الدينية وما تضمنته من الامور العظيمة من استفتاح الملك جبريل عليه السلام باب السماء الدنيا فالثانية فالثالثة الى السابعة وهو يجتازهن مع رفيقه آنئذ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى حيث موقفه المسموح له به من الله تعالى وهناك تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم وحده باذن الله تعالى وهدايته الى المقام الذي خصصه الله له لمناجاته وتجلياته القدسية كما خصص جانب الطور لمناجاة موسى عليه السلام وتكليمه ولا فرق بين جوف حوت يونس وطور موسى ومستمى محمد عليهم السلام بالنسبة اليه تعالى حيث لايحويه مكان ولا تحصره جهة لافوق ولا تحت كان الله تعالى في ازليته ولم يكن شيء من الكائنات والامكنة والجهات على الاطلاق فهذه المنطقة الواسعة المبتدئة من العرش الى السماء الدنيا كون من الاكوان المخلوقة ومكان من الامكنة الحادثة مقر لمخلوق لا لخالق هو موجدها بيد انه كأن الحكمة الالهية اقتضت تصوير ماهو مألوف عند البشر مرتب في الارض من الاوضاع واشكال الممالك فكان العرش والكرسي وما تحتهما من السماوات كعاصمة يتخذها الملك والسلطان يملأوها بالخيرة البررة من اصفياء خدمته وحشدته

وعنها يتلقى الناس الاوامر والنواهي واليها يجأرون لله المثل الاعلا ليس كمثله شيء وهو السميع العليم فملاء الله السماوات من الملائكة عليهم السلام واختار مستماها ومستواها لمناجاة حبيبه الاعظم ونبيه الاكرم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فليس للفني ان ينكر وجود السماوات بالمعنى الذي افهمته النصوص الدينية وتأويلها بغير ما تأويل لا يصح علمياً ولا دينياً ومن اراد الوقوف على التفصيل فليراجع رسالتنا التي وضعناها في هذه الاثناء في ابطال نظرية لابلاس ورفقائه من القوسموغونيين فنقول القائلة ان الارض مشتقة من الشمس واثبات ان الارض وجدت قبل السماوات التي وجدت قبل الكواكب التي هي مصابيح السماء الدنيا وليس للفني ان يرد تلك المسائل المعراجية لكونها مخالفة لفنه بعد انها من المعجزات المبنية على مخالفة فنه الحاصلة بقدرة الله تعالى القدير على كل شيء الفعال لما يريد كما انه لاينبغي ان يستشكل بجمع الانبياء والمرسلين عليهم السلام ليلة الاسراء في المسجد الاقصى وائتمامهم في صلاة صلوها هناك بخاتمهم وافضلهم عليه الصلاة والسلام حسبما ورد في قصة الاسراء فان من اركان المعتقدات الاسلامية التي يكفر منكرها البعث واعادة المخلوقات واحياءهم مبعثرين من قبورهم فجاز ان الله

تعالى الذي يحي ويميت ان يكون احياهم ريثما اجتمعوا به عليه الصلاة والسلام وائتموا به اشارة الى امامیته علیهم او ان ارواحهم الشريفة تمثلت باجسادهم حتى تم هذا الاجتماع فان تمثل الملائكة والروح ثابت شرعا وممكن عقلا وبهذا يجوز تفسير ملاقاتهم له في السماوات واجتماعه في جملتهم بموسى عليه السلام بتلك المراجعة التي كانت على يده في تخفيف اعداد الصلوات كما ان الله تعالى اطلعه بطريق الكشف على امور تجرى لبعض المجرمين وعلى حالتهم البرزخية في ذلك اثناء اسرائه بين المسجدين والله تعالى واسع عليم

وبعد فقد اعتاد الناس الاجتماع لاستماع قصة الاسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب كل سنة اعتماداً على اشهر الروايات في وقت الاسراء وهذا اجتماع لا بأس به ذكرى لهذه المعجزة العظيمة التي تتيقظ القلوب باستماعها لعظم شأن صاحبها عليه الصلاة والسلام ولا نعلم مبدأ تاريخ احداث هذا الاجتماع المبارك بيد ان هذه القصة يذكر فيها مسائل عويصة جاءت في بعض الروايات المقبولة يصعب حلها على اكثر الناس فضلا عن انه يذكر فيها من المشبهات ما يخشى على العوام سوء الفهم فيها اعتقاديا وترى جمهور المستمعين لا يفقهون من ذلك الا انه عليه

الصلاة والسلام اسري به ليلا بين المسجدين ثم عرج به الى السماوات ولا ريب ان تلاوة شيء من تلك التفاصيل الغوامض على من لا يفهمها او من يسيء فهمها امر غير مقبول وكم ذا وجدتني وانا في ذاك الجمع يرجف قلبي وجفانا مزعجاً حين يسمع المستمعون من تالي القصة قوله زج به في النور وقوله من نور الله فيفهمون من النور ما يعرفونه من هذا الضوء المشاهد تعالى الله عنه وتقدس وقوله حكاية لقول موسى عليه السلام في مسئله تخفيف اعداد الصلوات ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فيرجع ثم يعود الى موسى بالحط خمساً فخمساً من ذاك العدد مما قد يوهم المكان والجهة في حقه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً وعلى هذا المسحب فاسحب فلو اقتصر التالي في ذلك على حد يتناسب مع افهام العوام وهم المقصودون لاستماع القصة التي اكثر مذكوراتها ليست في الصحاح لافاد وحصل بالمراد وفي هذا الباب مشروحات وافية كافية في كتابنا البرهان في العقائد

وكذلك اعتاد الناس الاحتفال لاستماع قصة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام ولنعمت الذكرى بمولد هذا النبي العظيم الذي اخرج الله الخلق بهديه من الظلمات الى النور لولا انها تلطخت بمنكرات يحبط بها ما عسى ان يناله حضور ذاك المجلس لا سيما

اختلاط الفاجرات بالفاجرين وما يجرى هنالك مما يغضب صاحب المولد عليه السلام و يرفضه الدين الاسلامي بتاتاً و ياليت قوى يتخذونها فرصة من اجتماع العوام والاحداث لقراءة شيء من تاريخ حياة هذا النبي الاعظم الاكمل الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم وهاتيك الشمائل السامية التي هي غرة النور في جبين الاصفياء في سائر العصور فان الناس لا يعرفون من ذلك الا انه ولد بمكة وهاجر الى المدينة وخطيئة كبرى محفوفة بالعار وكفران النعمة ان يجهل معظم الامة سيرة هذا الانسان الكامل الذي اهتزت لمولده الارض اهتزازاً جعل فيها انقلابا عظيما لم يعرفه التاريخ في كل ادواره وعجيب ثم عجيب منك ان تحب نبيك الذي به سعادة مصيرك ولا تطلب معرفة احواله واطواره العاطرة الزاهرة النبيلة واوصافه وشمائله الفاخرة الباهرة الجميلة وهذا مما توُنب وتوبخ عليه والحب دعوي وكل دعوي انما توُيد بالبيان والبرهان واذا قلت انما القصور من العلماء قلت انك اولا في لمو عنهم قد اطوحت بك المدنية الحاضرة الفاسقة الى المقاهي والملاهي عن مجالس العلم والوعظ وتفسير القران المجيد وشرح الحديث النبوي الشريف وثانياً تسمح ان تبدر البدر من المال في سبيل ذاك اللهو والفجور وتشح شحاً ناشفاً جداً بدريهمات قليلة في سبيل

اقتناء كتاب من كتب الدين والسيرة النبوية او في سبيل الوفر لعالم من علماء الدين عائل انما هو وعياله من البشر يعيشون كما يعيشون لا كما تعيش الملائكة الكرام عليهم السلام والمشهور ان الذي احدث الاجتماع لقصد المولد المحمدي الشريف هو ابو سعيد كوكبوري بن ابي الحسن علي بن بكتكين الزكاني الملقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل الذي ولاه عليها السلطان صلاح الدين فانه احدثها في اوائل القرن السابع وقد كان سخياً صاحب خيرات كثيرات وكان ينفق على الاحتفال بالمولد الوفا كثيرة لا محل لتفاصيلها ههنا وقد كان مولده عليه الصلاة والسلام في الليلة الثانية عشرة على اشهر الروايتين من شهر ربيع الاول سنة خمسمائة وتسع وستين من ميلاد سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا وعلى سائر الانبياء افضل الصلاة وازكى السلام عام الفيل بعد نحو شهرين من حادثته التي هي من الحوادث الباهرة ولا بأس ان نمر بها لما في ذلك من الفائدة وما للمفكرين الفطنين من الكلام فيها فنقول

من الخصائص الوطنية التي لم يؤثر مثلها لغير سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ان تقدم مولده الشريف خوارق يجب ان تكون اعظم منبه في عقول البشر يستلفتهم الى ترقب امر عظيم

سيظهر لان الخارقة المشهودة بالعين لم التي تستند في الحاضر الى احد يجب ان تحدث في نفوس الحاضرين تفكراً وطلبا لامر يتناسب معها في المستقبل والتغاضي عنها غفلة وبله قبيح

تقدمت ظهور محمد عليه الصلاة والسلام باجيال كثيرة بشائر الانبياء وشهادة الكتب السماوية من ذلك ما في الباب الثالث والثلاثين من من سفر الاستثناء هكذا (او هذه هي البركة التي بارك بها موسى رجال الله بني اسرائل قبل موته) فقال جاء الرب من سينا واشرق لنا من ساعير واستعلن من جبل فاران ومعه الوف الاطهار وفي يمينه سنة النار) ولا شبهة ان مجيء الله جل وتقدس من سينا عبارة عن انزاله التوراة على موسى بطور سينا وهكذا يفسره اهل الكتاب وهو كذلك فاشرافه من ساعير عبارة عن انزاله الانجيل على المسيح لان ساعير اسم للقرية التي ولد فيها عليه السلام في جانب بيت لحم وللان تعرف بذلك ولها جبال تسمى ساعير وفي التوراة ان نسل العيص كانوا سكانا بساعير ولما كان لاخلاف بين المسلمين وغيرهم في ان فاران هي مكة وان جبال فاران هي جبال مكة ويؤيدة ما في التوراه ان ابراهيم اسكن هاجر واسماعيل فاران وجاء في الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في حال اسماعيل عليه السلام هكذا (وكان الله معه ونما وسكن في البرية وصار شابا يرمي بالسهام وسكن برية فاران) وليس

في الدنيا موضع معروف بفاران غير مكة ولا ريب ان اسماعيل كانت سكناه في مكة وفيها مات وبها دفن واستعلن واعلن وعلن بمعنى واحد وجب ان يكون استعلانه من جبال فاران عبارة عن انزاله القرآن على محمد عليه السلام ونظير ذلك ما ترجموه عن قول شمعون (جاء الله بالبينات من جبال فاران وامتلأت السماوات والارض من تسبيحه وتسبيح امته) وجاء اصرح من هذا بكثير ثم حوالي مولده عليه السلام ظهر ما بهر وكان براعة استهلال لظهور الشمس المحمدية في فلك الوجود ومن ذلك وقعة الفيل وهلاك اصحابه بصورة فوق العادة خلاصتها

ان نجاشي الحبش لما رأى انحطاط الحكومة الحميرية المجاورة لبلاده في اليمن اغتنم فرصة ضعفها فارسل اليها بجيش جرار تحت قيادة ابرهة فاستولى عليها تماما ثم تمهدت الظروف ان استقل ابرهة بالسلطة واخضعها لحكمه وشاد في مدينة صنعاء عاصمة حكومته كنيسة كبيرة بقصد ان يجعلها المطاف العمومي بدل الكعبة في مكة وان يحول ما في ذلك من المعاني الاجتماعية عن وادي ام القرى الى عاصمته بيد انه رأى ان هذه النتيجة لا تتولد من هذا العمل والكعبة قائمة على قوائمها فعزم على فتح الحجاز وتخريب الكعبة فسار بجيش عرمرم يتقدمه فيل كبير

جسيم حتى نزل في ضواحي مكة ثم قصد ان يزحف عليها ولم يقف في دفاعه من مدافع محسوس من اهل البلد الامين غير انه في اول خطوة من خطاه لم يرمن فيله الذي هو بمثابة مقدمة الجيش الا تقهقراً عنيفاً كأن يداً من حديد تلطمه بوجهه ولم ير الا قنابل كانت عبارة عن حجارة من سجيل تمطره بها من فوقه وفوق عسكره طير ابابيل حتى هلك من هلك وهم الاكثرية المسحوقة وانهزم من انهزم منهم ودفع الله شره عن بيته الذي هو اول بيت مبارك اسس للناس

وههنا قد جمد الفنيون عن قبول هذا بل استشكله بعض العصريين من المفكرين الاسلاميين لتحقق عدم مداخلة المكيين في الامر ومدافعتهم له بجيش عظيم يهلك بدون وسائط الدفاعات الحربية المعتادة مما يستعصى عن قبوله الفكر لكنه محقق الوقوع نقلا وتاريخياً ومن ثم كان مشكلا وعلى كل حال فهذه الصنعة عائدة لعموم العرب وليست خاصة بالاسلام لكونها حدثت قبله كذا قالوا

قلنا بل الاشكل تحكيم الفن في كل مسئلة وقد بحّ صوتنا في كل تقاريرنا ودروسنا بالتدليل والبرهان على خطأ هذا المسلك الضال الذي ينكب بسالكه عن جادة الحق والصواب وعرفناك ما يلزم ان تعرفه فيما سبق من العلم في ذلك فما لنا مزاره الان

على الاعادة وعليك ان تتذكره او تراجعه وعلينا الان ان نقول ان حادثة هلاك جيش ابرهة بدون واسطة بشرية هي من جملة الخوارق المتعالية على الفن وقد حدثت والدرة المحمدية كانت استقرت في صدفة آمنة الوهبية فكانت براهة استهلال لمعجزاته الباهرة بها حصلت الوقاية لاهل بلده الامين كما انه عليه السلام به الوقاية من الهلاك الابدي للبشر ولذلك وجب ان تعتبر عنعنة خاصة بالاسلامية اذ لاتناسب بين الخوارق والقومية العربية على انهم كانوا مشركين يعبدون الاصنام وابرهة وجيشه كانوا نصاري ودين النصرانية خير مما كان عليه مشركو العرب بل لاجل الكعبة ولاجل النبي عليه السلام قبل ظهوره وبكل حال فذلك من دلائل نبوته ومن اعترف بوجود الله وقدرته العظيمة وسلطتها على كل الممكنات وبان احتشاد زمرة من الطيور تحمل حجارة ذات خواص سمية او محرقة تهلك من تصيبه امر ممكن تحت سلطة القدرة الالهية سهل عليه قبول مثل هذه الحادثة التاريخية التي تسمى في الاصطلاح ارهاصاً باعتبار تقدمها على ظهور النبي عليه السلام ودعواه الرسالة النبوية وانكارها على الوجه الذي قصه القران المجيد كفر صراح واجماع المكيين بارشاد عبد المطلب جد النبي عليه السلام عن المداخلة في ذلك مما دل على وجود روح

دينية في نفس عبد المطلب كما يدل عليه قوله في ابيات قالها حينما اخذ بحلقة باب الكعبة

لا هم ان المرء يـ * ـنع حلّه فامنع حلالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكـ * ـبتنا فامر ما بدالك

فهو بما ظهر له من العلامات الصادقة في قرب ظهور نبي من ولده وبما كان فيه من المعاني الروحية المتسلسلة في عمود النسب المحمدي وبالالهام الرباني بان هذا البيت في منعة معنوية تقطع دونها كل يد أثيمة اعتزل باشراف قومه وانحاز الى شعاب مكة وتحيد عن ابرهة الى محض القوة العظيمة الالهيه فحصل كما كان يتوقع

ولا تعجب بهذا النظر الصائب الصادق لعبد المطلب فانه كفل حفيده المبارك ورأى ما رأى من طلائع النجابة والفضائل تترقرق من على اسرة وجهه الانور ولحسن سيرته بين قومه سموه بالامين ومرة استفحل الجدب فيهم فدعوا عبد المطلب للاستسقاء فخرج بحفيده المبارك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورفعه الى جهة السماء متوجها الى الكعبة قائلا اللهم اغثنا بحرمة هـذا

الغلام فما هي الا غيوم اطبقت وامطار انهمرت وعلى اثر ذلك تقدمت اشراف قريش بالتبريك والتهنئة بهذا الغلام المبارك الطلعة الى عبد المطلب

هذه الحادثة التي تناقلها ثقاة الرواة من المحدثين والمؤرخين واكتسبت درجة التواتر المعنوي دلت على امور جليلة منها ان نظر القوم في عمود النسب المحمدي نظر روحاني فوق ما في هذا النسب الرفيع العماد الاثيل المجد من الرئاسة والوجاهة ومن ثم توسطوا عبد المطلب في الدعاء واستنزال رحمة الله بالمطر وان نظر عبد المطلب ايضاً في هذا الحفيد العظيم هو ارفع من نظر القوم فيه لانه استصغر روحانية نفسه في جانب روحانية حفيده لكثرة ما انتصب له من الدلائل والامارات الصريحة التي تبشر بمستقبل له المهي ومن ثم توسطه الى الله في الغيث كما ان الموافقة العمومية من الحاضرين وهم اولئك الاباة شم العرانين على توسط عبد المطلب لهذا الحفيد الميمون الطلعة في الاستسقاء دليل واضح على انهم مشاهدون فيه من الشمايل والمزايا والاوصاف العظيمة ما هو مؤهله الى هذه الوساطة الجليلة التي اقترنت بما حقق نظرهم فيه

والمطر وان كان باسباب جوية او غير جوية فحصوله مطلقاً عائد الى ارادة الله وقدرته ومن الممكنات استجماع اسبابه في زمن قليل ثم حصوله في اقرب وقت امارة على عناية الهية مخصوصة

فيمن اتخذ واسطة الالتجاء الى الله للتنبيه على علوية شأنه والوساطة معروفة ومألوفة بين البشر فليس بالامر المستنكر توسط العباد من يعتقدون فيه البركة والمميزات المعنوية الى الله تعالى بسبب قصوراتهم الدينية التي يرونها تبعدهم عن اهلية الاستجابة فيما يطلبون

لولا اعلم ان نفسك ينقطع وتتعثر فتبرك في الطريق ايها الفتي لقلت لك الحقني لاريك واسمعك من انشقاق القمر وكلام الشجر والحجر والذئب والغزالة والبعير والضب ونبع الماء بين اصابعه ومزود ابي هريره ومن . ومن . الى ما لا يفقهه الا من اكتسب الذوق الديني والفهم في المعاني الروحانية ودرس القدرة الالهية وسلطانها والممكنات العقلية وانخضع بفنه وعلومه وبالسماوات والارض وسائر الكائنات الى عظمة الله وهو رب السماوات والارض الواحد الاحد الفرد الصمد مالك الملك عز سلطانه وجل جلاله ولا آله غيره وصلى الله تعالى وسلم على خاتم انبيائه ورسله سيدنا ومولانا محمد المرسل رحمة للعالمين الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

كان الفراغ من كتابة هذه العجالة في ١٠ شعبان سنة ١٣٤١ وصارت اعادة تبييضها وتحريرها في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٤ بيد مؤلفها العبد الضعيف خويدم العلم والسادة العلماء عبد المجيد بن محمود المغربي من طرابلس الشام عامله الله بكرمه واحسانه مع اخوانه المسلمين في هذه الدنيا و يوم القيامة آمين

297.317:M19A:c.1
المغربي ،عبد المجيد
المنهاج في المعراج
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01008112

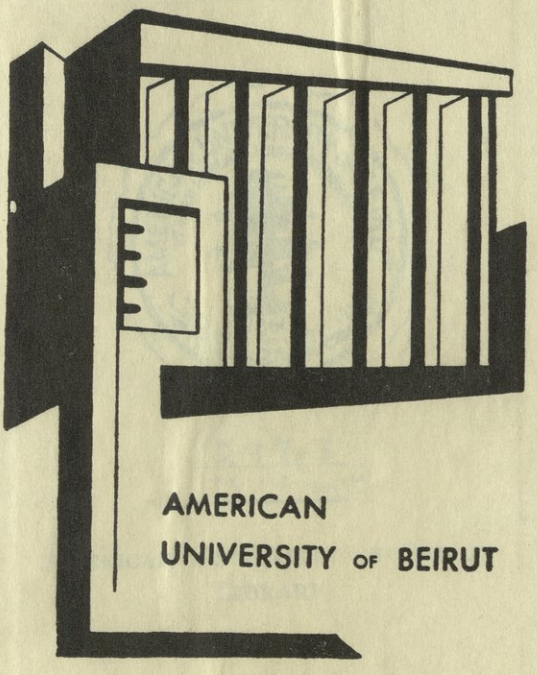

297.317
M19mA